ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

النظرية النقدية و فلسفة الفعل في مساءلة الليبرالية لدى مشروع مدرسة فرانكفورت

The Theory of criticism and the Practical Philosophy in the questioning of Liberalism by the Frankfurt School

فضيلة عبد الكريم،جامعة باتنة (الجزائر)

abdelkrim.fadhila@univ-batna.dz

أ.د. بن سماعين موسى ، جامعة باتنة (الجزائر)

تاريخ الإستلام: 15 / 01 / 2022 **تاريخ القبول**: 22 / 05 / 2022 **تاريخ النشر**: 14 / 06 / 2022

الملخص :

هذه الورقة البحثية تطرح مساءلة حول اديولوجيا الليبرالية التي استقطبت اليومي بأسسها و فلسفتها و أفقها الذي يطمح الأفراد إلى العيش به ، لكن النتائج التي حلت من جراء توغلها في العلاقات الإجتماعية من قهر و اغتراب و قمع و تنميط جعلها محط نقد من مدرسة فرانكفورت الألمانية ، و هي أهم تجمع نقدي أسس للنظرية النقدية المعاصرة ، و من هذا المنطلق طرحنا الإشكالية حول دور فلسفة الفعل في مشروع النظرية النقدية و مساءلة الليبرالية من أجل إعادة صياغة الواقع و تغييره بفعل الفكر الحي ، مما أحدث مراجعة القول الفلسفي و تجاوز النظرية التقليدية إلى نظرية نقدية تتجه للفعل و ترفض القبول بالفكر الجاهز.

الكلمات المفتاحية: الليبرالية ؛مساءلة ؛النقد ؛ اليومي ؛ مدرسة فرانكفورت ؛ القول الفلسفي .

Abstract:

One of the many aspects that open the question to understand the ideology of Liberalism , is that it had shaped many principles as well as the philosophy that aimed to draw the attention of the individuals , ultimately to give them social rules in which they can hope to advance with in life in addition to how the results of these principles , this idea made the criticism highlight due to how it generated questions , since the two aspects of Liberalism and the individual are not always compatible , and so the Frankfurt School questions these connections , giving that they had founded the theories regarding social criticism , and among these theories the theory of criticism attempts to discover and question the philosophical context for both the practicality and transcendence of criticism for the principles in the daily life .

Keywords : *Liberalism – Criticism – Frankfurt School – Question Philosophical context – Daily* .

.

I. مقدمة

يعد القرن العشرين قرن المتغيرات الجذرية المذهلة و الصادمة أحيانا، هذه الوضعية التي غيّرت واجهة التفكير النظري و الجوانب العملية أيضا خاصة على مستوى المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية ، حالة أدخلت العقل في متاهة المساءلة التي أجادت الطرح و لم تستطيع الوقوف على قناعات عملية و حلولا لتلك المشكلات ، فكانت الساحة الفكرية بين أخذ و ردّ و تجاذبات بين الفلاسفة ، و تعد الليبرالية الغربية من أبرز المنظومات التي وجدت لها فضاء نظريا و تطبيقات حية بحكم النجاحات التي حققتها على مستوى السلوك الإنساني ، لأنها عبرت و ترجمت الحياة اليومية ووضعت مقاييس النجاح الأقرب لليومي خاصة بالمجتمع الأمريكي ، هذا المنجز الفعلي كان منطلقه مع بداية القرن الثامن عشرحيث وجد بالفلسفة النفعية الأمريكية المناخ القابل لهذا التفعيل و المعايشة من خلال احترام الحريات الفردية و الديمقراطية ، حريات تستقطب الجميع من خاصة الناس إلى عامتهم على مستوى الفكر و العمل و العقيدة ، و فتحت الباب للمنافسة تلبية للرغبة الذاتية لدى الأفراد ، هذه النسقية الليبرالية أصبحت أفقا يطمح للعيش به كل عقل يريد أن يرى ما يخطط له كمغامرة قابلة للنجاح على مستوى الأفراد ، اديولوجيا ترسخت و تأصلت مع الوقت و أثبتت جدارتها مقابل كل الإديولوجيات المنافسة لها لذلك يحسب لمنظومة الفكر الليبرالي قدرته على التنظيرالعملي الذي استطاع أن يجعل من الفكر صناعة ذات جاذبية و سلطة لا تقاوم من الأفراد ، لكن ذلك لم يجعل هذه الإديولوجيا بمعزل عن النقد رغم نجاحاتها السياسية و الإقتصادية ، فقد واجهت نقدا ممنهجا و دقيقا من أبرز مدرسة نقدية غربية معاصرة إنها مدرسة فرانكفورت ، و التي اكتسبت أهمية بالغة بحكم تنوع كتاباتها التي اشتغلت على مختلف المرجعيات الفلسفية الكبرى من الكانطية إلى الهيجيلية إلى الماركسية و الفرويدية ، و قدمت براديغمات جديدة لطرح قضايا العصر المتداخلة و المعقدة فكان المنفذ النقدي اجتماعي لمعالجة المشكلات السياسية و الإقتصادية بعقلانية باثولوجية ، لمعالجة جذرية لوقع الاغتراب و ضياع المعنى في حضارة الغرب التي اتخذت من الحرية الفردية و التقدم العلمي و التقني انتصارات للواقع و نجاحات للإنسان ، فكان النقد للإديولوجيا و تحليل أسسها الفكرية و آلياتها السياسية والإجتماعية ، بعقلانية تبحث في النتائج لتجعل منها مقدمات و منطلقات تعيد صياغة هذا الواقع من جديد ؛ فهي لا تسعى إلى التفكير فقط بل تعمل على تغييره من خلال الوقوف على حلول ومقاربات نقدية للمشكلات، و يظهر ذلك جليا بتتبع تطورات مسار هذه المدرسة التي تأسست بمدينة فرانكفورت عام 1923م وأخذت على عاتقها مهمة النقد و تفعيل الوعي العقلي بين الأفراد مادام إحياء الحس النقدي يعتبر ضرورة للتغيير و المراجعة .

- **إشكالية البحث :**

1-هل حقق الفكري النقدي بُعده العملي في تفعيل الوعي بمشكلات الليبرالية ؟

2-ما مرتكزات التفكير النقدي لدي مدرسة فرانكفورت ؟

3ماذا قدم الجيل الأول في تأسيسه للمشروع النقدي وهل حقق وعيا جديدا لليومي رغم قوة التفكير الإيجابي الهش و سلطته على التفكير السلبي النقدي ؟

4-هل تمت مراجعة الوعي المزيف لدى الأفراد حول واقع الليبرالية ؟

- **أهمية البحث :**

تأتي أهمية الموضوع من دور الليبرالية والذي نجده في صدارة الإديولوجيات على مستوى التنظير و التفعيل في واقع الحياة الفكرية و المعايشة اليومية في البلدان التي نجحت بها و على رأسها الولايات المتحدة و أوروبا الغربية بل و أصبحت نموذجا عالميا في تحقيق النجاح و التغلب على المشكلات السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية ، و كذلك أهمية مدرسة فرانكفورت النقدية و أطروحاتها التي نقلت النقد من

التوظيف العقلي الخالص إلى النقد الإجتماعي المحايث و المحاكي للواقع الأداتي و المفرط في الحرية، و التي اكتسبت صفة الفوضى و الزيف في حياة المجتمع ، هذه الأهمية جعلت من مدرسة فرانكفورت تعمل بنسقية متتالية و محكمة للوقوف على الأسباب التي قد يجد الأفراد أنفسهم بها كقيد أنتجته الليبرالية .

- **فرضية البحث :**

المنطلق لفرضية هذا البحث هو أن الليبرالية اتخذت من مبرراتها العقلانية التي اعتمدت المنفعة الفردية و العقل الأداتي حيث ذهبت بعيدا في تطبيقاتها لتواجه نقدا من داخل منظومتها ، و تُعدُّ مدرسة فرانكفورت الألمانية رائدة و نموذجا لذلك و هي تتوق لنقد فلسفي عملي ينبه و يسعى إلى ممارسة نقدية فلسفة براكسيسية ، الفرضية هنا تقول بقوة الحجاج لدى اديولوجيا الليبرالية مقابل قوة النقد و العقل وفق منهج تحليلي للنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، و التي تملك هي الأخرى مشروعا يفترض النقد الجذري للمعضلات الإجتماعية و فرض مراجعة شاملة للموروث الفكري الأوروبي و للمشكلات الفلسفية الكبرى .

- **منهجية البحث :**

بحكم القراءة التي تعتمد على تعدد في المحطات الفكرية للفلاسفة من داخل مدرسة فرانكفورت " معهد البحوث الإجتماعية " أو خارجها و عبر مراحل أجيالها الثلاثة، فإن المنهجية تكون متناوبة بين التحليل الوصفي للأفكار و الحجج و البراهين و التحليل النقدي الذي يعمل على بناء الأدلة العقلية وفق الراهن الذي تتطلبه الوقائع و الأحداث و نتائج هذه المساءلة النقدية و التي نحاول أن نقترب فيها من الموضوعية و خاصة مع الجيل الأول الذي أسس لهذا المشهد النقدي الفلسفي رغم المشكلات و الصعوبات بهدف تحقيق مقاربة أخلاقية قيمية بالمنظومة الإجتماعية الليبرالية .

- **هيكلة البحث :**

تم تقسيم هذه الورقة البحثية إلى مبحثين :الأول تناول ضبط المفاهيم من خلال المطلب الأول حول الفكر النقدي و المطلب الثاني مفهوم فلسفة الفعل و المطلب الثالث مفهوم الليبرالية و أسسها الفكرية .

أما المبحث الثاني فقد تناول مدرسة فرانكفورت و مساءلة الليبرالية من خلال مطلب أول يتطرق إلى خصائص النظرية النقدية ، و مطلب> ثاني يدور حول نماذج لمدرسة فرانكفورت والذي أسست للفكر النقدي و أخرى راجت في فضاء النقد التواصلي " ماكس هوركهيمر ، هاربرت ماركيوز ، يورغن هابرماس " مع التعقيب و المناقشة للوقوف على المقاربات التي راهنت عليها الليبرالية مقابل الفضاء النقدي الذي فتحته مدرسة فرانكفورت في بحثها الإجتماعي .

المبحث الأول : ضبط المفاهيم

المطلب الأول : مفهوم النظرية النقدية :

يشير معجم جميل صليبا إلى مصطلح النقد بقوله :" النقد أو الانتقاد في اللغة انتقدت الدراهم و انتقدتها أي أخرجت الزيف منها ، و نقد الدراهم أعطاه إياها ، و نقد الكلام و انتقده أظهر عيوبه و محاسنه ... و الانتقاد عند المحدثين هو التعليل ، و المنتقد هو الحديث الذي فيه علة ، و الانتقاد بالمعنى العام هو النظر في قيمة الشيئ ، فانتقاد المعرفة هو النظر في قيمة المعرفة هل هي ممكنة ، و شروط إمكانها و حدودها " (صليبا، 1982)

و رغم أن النقد تناوله الكثير بالشرح لكن بهذا المفهوم الذي قدمه جميل صليبا يصبح أقرب إلى التناول الفكري و خاصة على مستوى النظريات و الآراء و التحليلات المفاهيمية للمعارف و قيمها ، هذا من ناحية أما مفهوم النظرية النقدية Théorie critique فنجده من خلال أعمال مدرسة فرانكفورت حيث :"

تأسس معهد البحث الاجتماعي في عام 1923م وكان هريمان فايل هو من تولى تمويل هذه المؤسسة الفكرية الماركسية الأولى من نوعها، التي انبثقت عن مجموعة دراسة من الماركسيين التي كانت تسعى إلى معالجة الملشكلات العملية التي تواجه الحركة العمالية في أعقاب الثورة الروسية. كان هريمان فايل رجل أعمال مستنر صنع ثروته من سوق الحبوب الأرجنتينية، وقد قدم املال بعد إلحاح من ابنه فيليكس الذي كان يعتبر نفسه بلشفيٍ ا مْتَرَفًا " (ستيفن إريك بروتر و سارة عادل ، 2016م)فكان لهذا المعهد بصمة مختلفة حيث الصورة أكثر نضجا و وضوحا للسؤال الفلسفي الذي يبلغ مرحلة الخصوبة الفكرية لذلك تعد مدرسة فرانكفورت النقدية من أهم المدارس الفلسفية المعاصرة التي ظهرت في ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية كانت سائدة في ألمانيا في العشرينيات من القرن العشرين، والتي تعتبر من العوامل الرئيسية لنشأتها و التي كان مشروعها العلمي الذي قدمته نتيجة ملابسات موضوعية و جذرية ، وفق شروط مادية، وإنتاج نظري مواكب لتلك الشروط الموضوعية المرافقة للظروف ، حيث عكست قضاياها . و لكن لم يأت ذلك من فراغ فقد تناولتها الفلسفة الألمانية من خلال أعمال إمانويل كانط و فردريك نتشه ، حيث جعلت من النقد الفعل الذي يبنى عليه التأمل الفلسفي و صياغة المشكلات و الدهشة من الوقائع إذ تعد النظرية النقدية عكس النظرية التقليدية و المرتبطة بالنظرية الوضعية و التي تعتمد مناهج العلوم الطبيعة ، وعليه فهي تؤكد على الصبغة النقدية للعقل وتجعل الإنسان صانعا لظروفه و يومياته التي يحتفظ بها تاريخه بتتابع نقدي إذ يقول هوركهايمر Horkheimer: " إن النظرية النقدية تحافظ على تراث الفلسفة برمتها فهي ليست فرضية ما للبحث تشهد بصلاحيتها في النظام القائم بل عاملا لا ينفصل عن المجهود التاريخي في سبيل خلق عالم ملائم لحاجات الإنسان ولملكاته " (ستيفن إريك بروتر و سارة عادل ، 2016م)و التي يطمح من خلالها إلى وضع فكرة شاملة للنقد كنظرية تعمل على بعث التراث الفلسفي و مناهجه التي أسست للقول الفلسفي و يواصل هذه الفكرة حول النقد ليقول : " تهدف إلى تحرير الإنسان من القيود التي تجثم عليه بهذا المعنى فإنها تقارب الفلسفة الإغريقية لا في فترة استسلامها الهلنستية بل عندما كانت في أوجها زمن أفلاطون و أرسطو " (ماكس و الناوي، 1990)

و هي قيود واقع كله تناقضات و مغالطات يحاول من خلاله هذا الفكر النقدي الجديد و المتجدد إعادة الفلسفة اليونانية بما تحمله من أسئلة قابلة للحضورمع كل تفكير يسعى إلى مقاربة بين الفكرة و حياتها بين الناس .

مفهوم فلسفة الفعل : الفعل في اللغة العربية من فعل ، يفعل ، فعلا ، و الجمع فعال و أفعال و هي تدل في المعجم الوسيط على العمل و جاء فيه أن كلمة فعل في النحو دلت على حدث و زمنه ، و الفعلة الواحدة من المرة الواحدة من العمل و يشار بها إلى القولة المستنكرة (إبراهيم أنيس، - عبد الحليم منتصر ، و عطية الصوالحي ، 2004م) .

و في اللغة اللاتينية تنحدر كلمة فعل من actio، agere أي agir في اللغة الفرنسية ، وفي القاموس الفرنسي نجد كلمة الفعل بمعاني اصطلاحية متعددة و هي ملكة النشاط و الحركة و إظهار الإرادة في إنجاز شيئ ما ، و ما يمكن أن نحدثه بإظهار ملموس لإرادة فرد ما أو مجموعة ما ، و التحويل إلى فعل هو تحقيق ماكان يعتبر مجرد فكرة . (larouse, 2001)

و عليه فالفعل هو النشاط العملي و الذي يتخذ مساره المعرفي المجسد يقول عبدالعزيز العيادي في كتابه فلسفة الفعل :" إن فلسفة الفعل التي نعني هي صيغة الفكر التي تستجمع صيغة الوجود التامة لكيان الإنسان في العالم بقدرتها على التنقل في مسافة التعاكس التكويني بين صعيدي النظر و العمل " (العيادي، 2007م)

بمعنى أنها خطابا مفتوحا على الكينونة الإنسانية و على مجمل الطبيعة المحيطة بالذات التي تتبنى ذلك الخطاب و الذي تهدف من خلاله إلى تغيّرها و تغيير العالم من حولها ،على الصورة التي ترسمها قوة الفكرة و صياغتها في تنقلها بين النظر و التجسيد و الذي بدوره يراجع الفكر و يعيده عبر تلك المسافة الوجودية مراجعة واقعه حسب الطرح و طبيعة الذات الفاعلة و المقصدية التي يهدف إليها الفعل ، و مادام القول الفلسفي يفقد فاعليته إذا لم يتم التمكين للعقل المستقل من تفعيل منجز القول إلى واقع إذ يصف لنا المفكر ناصيف نصار الفلسفة بأنها تروم الإجابة على سؤال واحد و هو: " ماذا يعني أن الإنسان يصنع نفسه " (نصار، 2018م)

و هو أن تكون المساءلة نقد للواقع منه تبدأ و إليه تعود و هي بذلك فلسفة حضور و التي تعني فلسفة الفعل ، و مع بول ريكور نجد الإهتمام بالفعل يأخذ حيزا هاما في فلسفته إذ يقول :" يمكن مفاجأة التمفصل الدقيق للماضي و المستقبل للأنا و للأفعال وللاوجود و للفعل المحض داخل الحرية نفسها " (ريكور، 2008) ، هنا الإرادة تتحرك داخل الذات بين الماضي و المستقبل من أجل تحريرها من الأخطاء بالفعل لا بالوهم و الزيف الذي يعيد تجربة الشّر و الزيف بحكم أنّ الأنا يعمل بما يكتسبه من خبرات الماضي ، و كأننا أمام مهمة صعبة للفعل في واقع يبرر للشر أكثر من تبريره للخير لكن هذا الحضور ليس مستحيلا حسب الطرح الذي يقدمه بول ريكو في حديثه عن فلسفة الإرادة و الإنسان الخطّاء .

مفهوم الليبرالية : الليبرالي اديولوجيا سياسية و مذهب فلسفي ، ونسق إجتماعي له آلياته الفكرية و تصوراته و دلالاته ، و يمكننا التعرف عليها من أجل فهم هذا الفكر و التعرف على أسباب رواجه و نجاحه في واقع حياة الأفراد .

مفهوم الليبرالية على المستوى اللغوي هو الحرية ، أما جذوره الإصطلاحية تعود إلى المفهوم الانكليزي Liberalism ويعني التحررية مشتق من Liberty الحرية وقد وصفت بالحرية المطلقة ، لذلك لم يكن هناك اتفاقا على تعريف واحد للمفهوم اذ يرى دونالد سترومبرج :" أنّ الليبرالية مصطلح عريض يلفه الكثير من الغموض والإبهام " (كامل، 1996)، وجاء في موسوعة لالاند الفلسفية : " الليبرالية هي الاستقلال عن المؤثرات الخارجية و هي أنواع ليبرالية مادية ، ليبرالية سياسية ، ليبرالية مدنية ، ليبرالية دينية ، ليبرالية اقتصادية " (لالاند، 2011) ، هذا التنوع الليبرالي تأكيد على تعدد المفاهيم و التحليلات أما بالنسبة لجون ستيوارت ميل و الذي يعد الأب الروحي للفكر الليبرالي يقول :" إطلاق العنان للناس ليحققوا خيرهم بالطريقة التي يرونها طالما لا يحرمون الغير من مصالحهم أو لا يعوقون جهودهم لتحقيق تلك المصالح ، فكل فرد يعد أصلح رقيب على ثروته الخاصة سواء كانت هذه الثروة جسمانية أم روحية أم فكرية " (لالاند، 2011) ، هذه الحرية متاحة للجميع لتحقيق منافعهم و لكن بشرط احترام حرية و ثروة الآخرين و منافعهم ، و عليه فالليبرالية منظومة فكرية شاملة تعطي تصورا عن الإنسان وغاية وجوده وأسباب سعادته وفق المنفعة ، لذلك ارتبطت بنموذج الفلسفة البراجماتية بشكل خاص و كل التيارات المادية و التي تجعل من الحرية المطلقة الفكرية و الشخصية عموما أولوية ، في نظام سياسي و فكري له تأثيره النسقي و نجاحاته التي حققها على الأرض وروج لها بسلطة الفكر و المال و السياسة .

لكن ماهي الأسس الفكرية التي شجعت على شيوع و ديمومة هذا النمط الفكري و السياسي و الإقتصادي ؟ الملاحظ أن الليبرالية تقوم على أسس فكرية مشتركة بين سائر اتجاهاتها وتياراتها المختلفة ، ولا يمكن اعتبار أي فرد ليبراليا وهو لا يقر بهذه الأسس ولا يعترف بها، لأنها هي الأجزاء المكونة لهذا المذهب والمميزة له عن غيره وتنقسم هذه الأسس المكونة لليبرالية إلى قسمين:

الحرية و الفردية وهما مشتركان بين الليبرالية وغيرها من المذاهب الفكرية الغربية بالإضافة إلى العقلانية، فكل المذاهب التي ظهرت في أوروبا في العصر الحديث خرجت من الفكر العقلاني الذي يقر

باستقلال العقل في إدراك المصالح الإنسانية في الحياة ، فالليبرالية حقيقة مركبة تركيبا تاما من الحرية الفردية العقلانية ولكن هذه الأسس المكونة لحقيقتها عددت تصورات الليبراليين في تفصيلاتها الفكرية ، فضلا عن آثارها العملية والطريقة التطبيقية أثناء العمل السياسي أو الاقتصادي .

المبحث الثـــــاني :

مادامت الليبرالية هي وليدة فلسفات و مشاريع فكرية أوروبية أسس لها و وضعت أرضيتها من فلسفة ديكارت وعقلانيتها إلى النقديته الكانطية والمثالية الهيغيلية ، أضف إلى ذلك الفلسفة الوضعية و النمطية الواقعية ، فإن الليبرالية كإيديولوجية استطاعت أن تعبرعن حاجة المجتمع ومُشكلاته الإنسانية والإقتصادية والسياسية والثقافية بكل ما لها من تحديات و أهداف، فحاولت بالفعل العمل على تغيير الواقع بما يجب أن يكون عليه اليومي على مستوى الممارسة و في العلاقات التي تحكم الأفراد ، و منه كانت الحداثة النموذج الذي يمثل المنعطف الهام للعقل الغربي حيث نجد أغلب الآراء تصب في اتجاه تفعيل أسس الليبرالية على مستوى الإقتصاد و السياسة و العلاقات الإجتماعية، يقول الطيب بوعزة في سياق حديثه عن اللحظة التاريخية التي ينبجس منها الموقف النقدي لمقاربة تيار الليبرالية و انبثاق أطروحة النيوليبرالية : " من طبيعة المذاهب السياسية و الإقتصادية أن يكون الواقع المجتمعي هو حقا اختبارها الحقيقي، فهي ليست مجرّد تنظيرات تجريدية يكتفي بمعايرتها بالأقيسة المنطقية و الموازنات الذهنية المجرّدة ، إنما لابد من تفعيل منهجية الملاحظة و الاستقراء للتزوّد بالمعطيات الملحوظة عن هذه النظم و المذاهب في مختبرها المجتمعي لاستخلاص المراجعات النقدية الواجب إجراؤها عليها بماء على ذلك الاستقراء " (بوعزة، 2013م) ، لذلك كانت فلسفة الفعل حاضرة في كل مشروع نقدي لمعالجة مشكلات الليبرالية في كل أزمة تتعرض لها بواقعها المجتمعي ، و يقول أيضا :" اهتم دا فيد ريكاردو 1823 – 1772 David ricardoبتحليل الواقع الإقتصادي من أجل الكشف عن القوانين الناظمة له " (بوعزة، 2013م)، وهو توجه و ضعي و متابعة لما هو ناتج عن فكرة الحريات الشخصية :" و هو في موقفه هذا يشبه آدم سميث 1790 - 1723 Adam Smith لذا سنجده ينتهج ذات التحليل لينتهي أيضا إلى مفهوم العمل كمحدد للقيمة " (بوعزة، 2013م)فالليبرالية يتم التسويق لها على أنها النموذج الأخير رغم أنها بدت في منتصف القرن العشرين بخطاب انهزامي يدافع عنها و يبرر استمرارها أمام هزات الإقتصاد الليبرالي و المتغيّرات الجذرية لليومي في حياة الأفراد و منه :" ظهرت النظرية الكنزية كمحاولة لتعديل النمط الإقتصادي الرأسمالي حيث سيقترح الاقتصادي البريطاني اللورد جون كينز - جون مينارد كينز 1946 – 1883 John Maynard Keynes – في كتابه الشهير النظرية العامة 1936 م حلا مرتكزا على وجوب تدخل الدولة " (بوعزة، 2013م)، و لكن رغم هذه المراجعات من داخل الليبرالية فلم تسلم من النقد الذي تبنته الفلسفة النقدية لدي مدرسة فرانكفورت و الذي تزامن مع المتغيّرات و التحولات التي كانت بمثابة مطرقة نتشاوية والتي تدق على كل منعرج فكرة تحاول خلق مب ررات عدمية ، و قد ساهمت فلسفة الفعل في تقوية جهاز النقد الفركنفورتي في كل المراحل و مع كل الأجيال الثلاثة التي تعاقبت عليها و خاصة الجيل الأول الذي أسس لهذه المواجهة ، وجعل للنقد قيمة و جهازا في فضاء جعل من كل نقد لليبرالية صورة لمعاداة الحرية و العدل و ال رفاهية و الحريات الشخصية ، بل تجده يدرج ضمن الدعوة للاستبداد و قمع الحريات الفردية ، و يمكننا هنا الحديث عن المتن الفلسفي الفرانكفورتي للجيل الأول و الذي أنجز القول الفلسفي كمقدمة للفعل و حياة الفكرة لا إلى تبرير ما لا يحتاج إلى التفعيل ، و مواجهة القلق المرتفع إلى تسطيح و تخفيف حدّة التوتر بين الفكرة و حياتها و عليه يمكننا هنا أن نبدأ بالنموذج الذي كان نقطة البدايات للنقد بمدرسة فرانكفورت و هو ماكس هوركهيمر ، ومنه فالتأسيس لم يكن مهمة سهلة بل كان الأفق كله صعوبات لولا العمل الجماعي و الذي ظهر فيه " تي ودور أدورنو " صاحب كتاب "

ديالكتيك العقل " شخصية فكرية نوعية مقربة لهوركهيمر و جمعتهما هموم المساءلة و تفكيك العقل و بلوغ وعي خاص ، و منه كانت البدايات متعثرة و قد برزت في كتابه " أفول العقل " و الذي يقصد به حالة الاستخدام كأداة لبلوغ المنفعة مما يضر ببني ة العقل ذاته و لم يفرق في الضرر هنا بين النخب و العامة من الناس ، مادام النقدي جذري و هو في مواجهة مشكلات الواقع و الحياة .

- ماكس هوركهيمر 1895-1973 Max Horkheimer*

" قد بَنَى هوركهايمر على هذه الرؤى في مقال له بعنوان " النظرية التقليدية ٍ والنقدية" نُشر عام 1937م لم يَعتبر هوركهايمر الرؤيةَ ٍ الجديدة نظاما منطقيا مكتملا و لا مجموعة من الادعاءات الثابتة، وحيث إنه كان معنيٍّ بتوضيح الجوانب المهَملة للحرية، ومصمِّما ع لى طابع الواقع الذي يشكله التاريخ " (ستيفن إريك بروتر و سارة عادل ، 2016م)

هنا يتضح منهجه النقدي المفتوح و فكرته القابلة للتجديد فالنظرية التقليدية في النقد لم تستبعد ولكن تعد منطلقا و تحررا لتجديد الخطاب الفلسفي و رفض الفلسفات النسقية ، فالمقياس هو عالم الأفكار القابل للفعل و رفض سلطة الإكراه التي يحددها التاريخ و الأشخاص " ، وك ان متشككا بالفعل بشأن مهمة التحرر التي تقع على كاهل البروليتاريا، فقد وضع تصوًرا للنظرية النقدية بو صفها بديلا للنماذج الفلسفية السائدة، أما الأشكال الفكرية الأخرى فكانت تعتبرمؤيدة للنظام القائم، بالرغم من إعلان التزامها بالحيادية و الموضوعية ... لقد كا نت الاهتمامات الاجتماعية مختبئةً في الخطاب الفلسفي " (ستيفن إريك بروتر و سارة عادل ، 2016م) ، هذا الشك منهج عقلاني لأن مهمة التحرر من السائد الأداتي ليس بالمهمة العقلية السهلة فضلا عن المهمة الواقعية، التي تنتظر يجعلها هدفا مهما في هذا النقد الذي ينطلق من المجتمع الذي يصنع أفكاره بنفسه و يعيد مراجعتها من داخل المنظومة التي ينتمي إليها و منه كان الخطاب الفلسفي متوسلا بالعقل و التأمل لمعالجة قضايا الواقع، فحتى الماركسية كانت قابلة للتطويع و النقد و المراجعة لأن الهدف هو تحقيق أفق التغلب على قضايا الواقع العالقة ، و يظهر هذا النقد في صورة نضال فكري شامل لكل أوجه الحياة :" إن النضال ضد التناغم الوهمي لليبرالية و إدانة تناقضاتها الداخلية و الطابع المجرّد لمفهوم الحرية لديها ، كل ذلك وقع استعادته صوريا في كل مكان من العالم تقريبا " (هوركهيمر، 1989م)، هذه الليبرالية يضعها ضمن التصورات التجريدية و الصورية لأن الواقع يختلف عن تلك التصورات ، وعليه يقع الفرد في متاهة التناقضات التي تجبره على قبول الراهن و الوقوف على تلك المسافة المكثفة بالوهم و الزيف في جل الأمكنة من العالم و منه فهذا الوجود خاضه لنمطية الإكراه لا الحرية ، التي تروج لها من خلال خطابها الذي يثبت قطيعته مع الممارسة اليومية و يوضح ذلك بقوله :" إن قدرة القوانين الجديدة التي اكتشفت من أجل تفسير الوقائع على تحويل المعرفة المكونة برمتها ، و تطبيق هذه الأخيرة على أوضاع بعينها تحددها العوامل المنطقية أو الثولوجية فقط ، إذ لا يمكن أن نفهمها أبدا بدون ردها إلى بعض عمليات الواقع الإجتماعي " هذه الوقائع التي تعتبر مادة المتن و الخطاب الفلسفي ، فإذا كانت هذه القوانين الجديدة هي امتداد للنظرية التقليدية و هي من نتائج الحداثة التي ورطت العقل في الأداتية المفرطة؛ فإن هذا العقل نفسه سيعيد مساءلة هذا الامتداد لتوجه السلوكيات الفردية و تعمل على دمجها ضمن مسارها الميثولوجي ، و بذلك يكون ماكس هوركهايمر قد وضع منهجا صارما لمدرسة فرانكفورت قوامه المساءلة من داخل النسق فيقول :" حتى لا نقع في الخطأ أن يكون لدينا وعي ملم وس بالطابع المحدد للنتائج المحصل عليها عن طريق هذه العملية ، ينبغي تبني تصورا يتيح لاحقا ضمن نظرة شاملة للبراكسس الإجتماعي إعادة ادماج قطاع النشاطات الفكرية التي عزلت بهذا الشكل " (ماكس و الناوي، 1990) ، الدعوة إلى براكسس إجتماعي و تطبيق حزمة الأفكار التي تم إبعادها عن الممارسة الفاعلة و التي تظهر عيوب الوعي المزيف و زيف الواقع، الذي جعل من الحريات الشخصية عنوانا للمتناقضات و تبريرا للنتائج :" فعلوم المجتمع تطرح كمعطى الطبيعة برمتها" (ماكس و

الناوي، 1990) ، إن هذا المجتمع الذي يفرض علينا من خارج الذات هو معطي براكسيس إجتماعي برمته تدرج ضمنه كل المعارف المادية بعلوم الطبيعة و الحياة بقوانينها و صرامتها التي تحدد الظواهر و تجعل من مخابر البحث تتبع رزنامة الأسئلة المتجددة كذلك الحال في نشاطات البشر، و هي الأوسع و الأكثر حيوية و تأثيرا بين الانفعال و الفعل .

تعقيب :

و عليه يقدم لنا ماكس مؤسس النظرية النقدية القائمة على فلسفة فعل النظرية و التي لا تتوقف عند حدود التفكير بل تبحث دائما عن نشاط للفكرة التي تتفاعل معها الحواس و تسجل حياتها بين الناس ، فلا اختلاف وجودي بين الإنسان و المجتمع و ما هذه الأشكلة و الصدع إلا دليل على إمكانية الوعي المتاحة للأفراد الأحرار بالفعل ، و منه يمكننا الوقوف على نقاط جوهرية في مشروع النظرية النقدية الفرانكفورتية :

1 - النقد الجديد و طابع فلسفة الفعل امتداد حذرللنظرية التقليدية و للأخلاق الكانطية بجانبيها العملي و النظري بصفة خاصة و إعادة قراءة للفكر الهيجلي و الماركسي من داخل عنصر المعنى و القيمة لمشروع النظرية النقدية الجديدة ، ذلك أن الفلسفة الألمانية منذ كانط kant إلى نيتشه Nietzsche جعلت من النقد مكونا أساسيا للتأمل الفلسفي .

2- كما أن هوركهايمر قد أقام تفرقة حاسمة بين نموذجين أساسيين لاكتساب المعرفة ، النموذج الأول هو النظرية التقليدية الشكل الذي ارتبط بالمناهج الوضعية ومحاولة تقليد مناهج العلوم الطبيعية، أما النظرية النقدية فهي على العكس من ذلك تؤكد على الصبغة النقدية للعقل وتجعل الإنسان صانعا لظروفه التاريخية بأسلوب لا يخلو من النقد الدائم و المراجعات الجذرية.

3– نظرية قائمة على مساءلة حجم الإخفاق و تجاوز مسافة الصدع بين الفرد و مجتمعه .

4- نضال العقل بين الشك و الحقيقة و الذي يتوسل بواقعه للحد من مسافة الوهم المكثفة بين الانفعال و الفعل داخل شبكة العلاقات الإجتماعية.

5 – العودة إلى التحليل النفسي الذي فتح آفاقا جديدة للنظرية النقدية ، فقد أمدها بأدوات منهجية في فهم البعد النفسي للإنسان، فأصبح في خدمة البراكسس الإجتماعي .

6- في المجتمعات الرأسمالية أخذ طابع الكليانية أكثر وجودا و تم تفعيل فكر استسلامي انهزامي .

هذه الاستنتاجات التي يعكسها القول الفلسفي لدي ماكس هوركهايمر في نقده لليبرالية ، و صياغة ذلك من خلال المقابلة بين النظرية التقليدية و النظرية النقدية تبرز لنا صلابة الأرضية التي كانت منطلقا لمشروع مدرسة فرانكفورت حيث فتحت الأفق للبحث عن تجديد المساءلة ، و سهلت الانتقال من حالة الجمود إلى الحركة و كأننا هنا أمام تطبيق لنصيحة نتشه و التي تحفر في عودة الحس السليم و العقول الحرة حيث تحدث ضجيجا دائما ، و عليه فإن الوعي لمواجهة الإرادة التدميرية للإديولوجيا الليبرالية يحدث ضجيجا بالفعل ، لكن رغم ذلك يبقى الخطاب الماركسي له سلطة على لغة الفكرة و محاولة تفعيلها و هي مراجعة وفق ما تهدف إليه لإزلة الزيف و الاغتراب وسلب الإرادة، وعي بما يجب في فضاء مفتوح وحذر من الوقوع في مسافة مكثفة تصنع هوة جديدة ووعي يطيل مسافة العودة إلى الفعل ، هذا ما نحاول أن نعرفة في نقد الليبرالية لدى هاربرت ماكيوز و هو نموذج آخر لمشروع نظرية فرانكفورت النقدية .

_ هاربرت ماركيوز 1979 -1898 " Herbert Marcuse م "

الفلسفة النقدية لهربرت ماركيوز أسست لمجموعة من المفاهيم العملية الجديدة ، من خلال قراءات جديدة ركزت فيها على نقد المجتمع المعاصر، حيث حاول ماركيوز أن يجدد المساءلة في المتن الفلسفي، فهو لا

يقتصر على معالجة المفاهيم والتصورات بصورة تجريدية محضة تعزلها عن إط ارها الإجتماعي، بل يحاول كشف هذا الخفي الإجتماعي حتى في أشد السردية الفلسفية تجريدا، ولعل هذا هو المفهوم الفاعل للبراكسيس(Praxis)، ولم يجعل ماركيوز تاريخ الفلسفة يخص فقط تاريخ المفاهيم السالفة في مشاريع الفكر النقدية السابقة ، بل قام باستنطاق تلك المفاهيم ضمن سياقها التاريخي و الدلالي والمعرفي ، ضمن سياقات تأثر بها يذكرها فؤاد زكريا :" كان تأثير هيجل هو الأسبق ، و هو الذي ظل ملازما له حتى النهاية ، و تلاه تأثير ماركس ، و معه نتشه ، و في مرحلة تالية كان تأثير فرويد ثم هيدجر " (زكريا، 2005) ، الملاحظ أنه جم ع من القول الفلسفي ما أهله لبناء قول جديد و جمع من مشهد الفلسفة الألمانية و الأوروبية فكان حضوره بمدرسة فرانكفورت إضافة نقدية لإديولوجيا الليبرالية ، طالما كانت الفلسفة لحظة نقدية للواقع و الراهن ، لمراجعة ماهو كائن و تأسيس البعد الأكثر عمقا للسؤال الفلس في كونه يدخل في حوارمع الوجود كما نراه ، بحكم أن التفكير الفلسفي يعتبر المحرك لكل تأمل و إبداع ، ولا يمكن حصرذلك في مجال ضيق لا ينتج دلالات جديدة ، بل يجب الاستفادة من تطورات العلوم الإنسانية و المساهمة في الوجود لتعرية الواقع الحاصل و كشف عنفه و سلطتة و تعسفه ، و في جولته النقدية كان الجدل من منطلقات فلسفته الخاصة في كتابه " العقل و الثورة " ، حيث برزت العودة إلى الجدل الهيجلي من خلال محاولته الربط بين ثلاثية الجدل الذاتي الهيدجري و الجدل الفكري الهيجلي و المادي الماركسي، و يقف بذلك على خصوصية ماركيوزية حول إشكالية الوجود و هي فاعلية حاضرة من خلال علاقة الإنسان بواقعه فعمل على تخليص الماركسية من فكرة الوضعية المفرطة لأنها تقود إلى موقف يغلق الباب أمام التغيير بحكم رؤيتها القائمة على الواقع الذي يفرض نفسه لا في إمكانية تغييره، و حتى يتسنى له الوقوف جهاز م عرفي قادر على نقد الليبرالية التي فرضت وجودها على الحياة الإجتماعية فيرى :" القدرة على التفكير السلبي أساسا لزعزعة الثقة الزائفة التي يشعر بها الإنسان العادي في موقفه الطبيعي حيال ذاته وحيال عالم الوقائع " (حسن، 1993م) ، السلب يعني النفي من خلال فتح إمكانات واسعة لمنطق السلب ضد الفلسفة الوضعية التي جعلت من العقل قوة محافظة تتقبل الوجود كما هو على حالته وترضخ للأمر الواقع حجتها التفكير الإيجابي، إن استغلال ماركيوز لجانب المنطق الجدلي " La logiquedialectique " كمحرك للصيرورة التاريخية البشرية والتطبيق ا لواقعي الديناميكي لتحقيق قفزة معرفية أو بتعبير سياسي لحظة الثورة، أي النفي المطلق حسب السياق الماركيوزي والسلب على حد التعبير الهيجلي، وبناء على هذا اعتبر ماركيوز المثالية الألمانية بأسرها حركة تحريرية منقذة للواقع الذي آلت إليه الليبرالية ، و لاحظ أن هنا ك ارتباط عضوي بين الروح المثالية الهيجلية والثورية الرومانسية الألمانية ، و منه اعتبرأن إمكانية قيام العقل بدور ثوري و جذري في الحياة البشرية عن طريق السلب هو الطرح الأكثر جرأة في تاريخ الفكر الفلسفي في كل مراحله :" كل موجود يجب أن يكافح من أجل وجود أفضل، لأنه ليس موجودا في الوضع الذي ينبغي أن يوجد عليه " (أحمد، 1980م)، فوظف النظرية الفريدية في استثمار جانبها الميتاسيكولوجي للوقوف على الجانب الخفي من الحياة النفسية و التي تحمي السلطة القمعية للأنا و التي اكتسبها من قوانين الأنا الأعلى و اعتبرتلك القوة ال نقدية لمبدأ الواقع الذي يسيطر عليه اللوغوس بالفعل مع إحداث تعديلات في نظرية الثورة ونظرية العمل في كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد" ،أين نلمس القطيعة التامة لماركيوز في مسيرة فكره حيث قدم تحليلات أكثر نضجا ودقة و تريثا مقارنة بمؤلفاته السابقة خاصة بع د انتقاله للولايات المتحدة و ملاحظته للحياة الإجتماعية الليبرالية و وصل إلى فكرة أنه يجب الإعتماد على الفن لتغيير الواقع :" إذا أراد أحدهم تحليل هدف الفن على الشخص أن يعود إلى واقع الأزمات و الثورة عليها و على النمط الإستهلاكي " (Douglas, 2006) في هذا الت حليل لفرقة بحث فرنسية كتبت عن المادية التي و قف ماركيوز في مواجهتها حيث تم التطرق لمفهوم المعارضة لكن ليس بمدلولها السياسي الذي يتعارف عليه الساسة ، بل هي أطروحة أوسع وأشمل من أن تختزل في المفهوم السياسي ، إنها

دالة على اختفاء الوعي النقدي ، فالمجتمع الح داثي يسير بآليات تنفي أي إمكانية للمعارضة والتغيير، آليات إدماج تنتهي إلى ضمور الإختلاف ومحو التميز بين الأفراد رغم أن الليبرالية تبني الفعل على الحريات الشخصية بل و الأكثر من ذلك تمنح الحرية التامة في اختيار نمط الحياة أمام تعدد الأنماط لتصل إلى واقع تنميط الوعي و التشيؤ و الاغتراب ، الأمر الذي انعكس على إخفاق الوعي الغربي ، فكانت المراجعة الشاملة للحداثة و فضح فلسفة الأنوار التي أسست لنمط المجتمع الليبرالي حيث تنعدم فيه الحرية و النقد و القبول بالوضع الاستهلاكي، و جعل القيم في خانة التشيؤ و منه يمكننا الوقوف مع ماركيوزعلى مايلي :

1_ حالة تقف على الجمود و الإعاقة لسير تاريخ الأفكار.

2_ سلطة التقانة أو مايسمى بالعقل التقني و سلطته الرافضة للجدلية السالبة .

3_ إمكانية تحول بنية العقل حتى يتم توجه التقنية و العلم لفائدة الإنسانية بدل من القضاء عليها .

4_ تفعيل ابستيمي جديد أكثر تحررا و الخروج من التفكير الإيجابي الهش و الخروج من قبضة النظام المهيمن .

5_ تحول اللوغوس التقني إلى لوغوس الهيمنة .

6_تحول الشخصية الإنسانية المكونة من بعدين Two Dimensions جسم و نشاط عقلي ليصبح ذو بعد واحد one Dimensional فيمتص المجتمع الاستهلاكي كل محاولات التغيير والمتابعة النقدية .

و منه نلاحظ بأن ماركيوز قد صمم معالم مجتمع بأفق جديد ليحل محل مجتمع القمع تحكمه أفكار فرويد على نحو يتيح تكميل ما يفتقر إليه الفكر الماركسي ، وبالتوفيق بين التحليلات الاجتماعية والاقتصادية الماركسية مع النتائج التحليلات النفسية الفرويدية، على طريقة ال توفيق الهيجلية بين المتناقضات ، ليخلص إلى تركيب يتجاوز النقص الذي أفرزته وضعية القضيتين ليجعل من البراكسس praxis التحرري قوة الواقع و فلسفة فعل في مواجهة البعد الواحد . فيتحقق :" الوجود المتجه صوب الخارج و الأشياء في ذاتهاحيث ينطلق من ظاهرة وجود الموضوع و الزمن للتأكيد على فعلها في الوجود و يربطها بالظاهراتية " (Charles, 2006) ،وهكذا تصير الحركة هي الوجود وهي تغيّر مستمر لا يركن لا للوجود ولا للعدم وتجد في كل معانيها أساسها الأنطولوجي في هذا التغيّر الوجودي المستمر.

تعقيب :

إن تحليل ماركيوز لبنية المجتمع الصناعي المعاصر و نقده لليبرالية فيه من الفكر الذي يخضع لينسجم مع الواقع و بعضه يبتعد عن اليومي لحياة الفرد في المجتمعات الليبرالية ، كما أن حالة الغموض لتلك المراجعة و التي بدت بأفق متسع و ضيق في مجالها العملي لم تحدث تغيّر ا إلى حد اللحظة مع أن أجيال مدرسة فرانكفورت يحققون تقاربا في الرؤى ، رغم أننا نجد في فلاسفة مدرسة فرانكفورت مشروعا حيا لاستمرارية المساءلة الفلسفية في قرن أصبح فيه الحديث عن اللافلسفة بالفكر الفلسفي ، الأمر الآخر تحليل ماركيوز للحساسية الجمالية كحل في واقع تنهار فيه القيم الفنية و التربية الجمالية مع أننا نلاحظ بقاء ذلك في حيز القول الفلسفي و لا يتحول إلى واقع لدى العامة التي تعتبر جوهر ثورة التغيير ، ربما هذا القول له صدى لدى بعض النخب التي تملك هذا الحس الجمالي و التفاعلي ، كما أن مشروعه الذي يطمح إلى تحقيقه و يعتمد فيه على القوى الثورية فنجده أمام نفس الأفق الذي رسمه لا يتسع إلى كل ذلك التنوع و الاختلاف في فضاء الإديولوجيا الليبرالية فالكل يخضع بالفعل لا بالقول فقط إلى التشيؤ و الإغتراب ضمن الكلي التكنولوجي القائم ، فلا يكون من هو مهمش و بلاأفق تقع على عا تقه قضايا تحرر الوعي و الزيف ، كما أنه قدم هذا الواقع بكل تناقضاته و جعل من قوة السلب نقطة تحول لنقد الواقع و الذي لا يتضح إلا بالبديل البراكسيسي و الذي يواجه به الفرد الاكتساح التقاني و إمكانية تجاوز هشاشة التفكير الإيجابي ، و إذا كان

البعد الأحادي فرض على العقل التنميط في مجتمع تحكمه جملة من العلاقات و النشاطات المادية فإن تعقيل التكنولوجيا و جعلها تحت سلطة الحاجة الإنسانية فلا صوت يعلو فوق صوتها و واقعها ، لا واقع الحاجة المادية التي بلغت حدودا فاقت الضرورة إلى الترف و انعكاساته على الأبعاد القيمية .

_ يورغن هابرماس Jürgen Habermas 1929 ...

يعد هابرماس أحد أهم أقطاب حركة الإصلاح الألماني النقدية التي أخذت على عاتقها نشر وتأسيس علم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس و فلسفة الفن في الجامعات الألمانية من أجل تحرير الذات الألمانية من الإيدولوجيا النازية الفاشية، إلى جانب أبرز المحاور التي تهم الإنسان الحديث مثل دور الفرد وآليات السيطرة ، وأزمة الفرد وهم حرية ما بعد الحداثة التي روجتها الليبرالية ، مع الاهتمام بكيفية التحرر من قبضة المؤسسات التي تقضي على الجوهر الإنساني لذلك تعد أطروحته الفلسفية المعروفة بالخطاب النقدي الخالي من الهيمنة من أبرز الأطروحات و الأكثر تأثيرا، لأنه شدد على أن الفعل التواصلي لا يستطيع أن يحصل على مشروعية حقيقية قائمة على سلطة العقل إلا في إطار خطاب نقدي خال من الإلزامات والقيود السلطوية وهو الفعل الذي يمثل الوضع المثالي و الخطاب الناجحً حتى في حالة انعدام التفعيل الذي لا ي ستند إلى أي إجماع ، فالتواصل وعي بالواقع الذي يعيش به الفرد ، فكان نقده من خلال الموروث الفرنكفورتي رغم أنه راجع الكثير من المقدمات التي جاءت بها المدرسة في بداياتها ليتماشى هذا النقد مع الآليات و الأحداث الجديدة :" من خلال اختراق حدود الوطنية الضيقة ، و م عاودة طرح أبعادها طرحا موضوعيا جديدا " (مهيبل، 2007م) ، وهي محاولة لإعادة تشكيل الواقع بكل أبعاده ، رغم أن هذه الرؤيا في مجال التحقق تصطدم بالكثير من المعوقات ، و مادامت الليبرالية قد ذهبت إلى حدود مابعد الحداثة في صورة لم تعد في خدمة الإنسان في حدود إنسا نيته، فإن إعادة النظر في ممارستها أصبح من المهام الفلسفية الكبرى ، لأن :" أهم مكسب من مكاسب العصر الحديث حسب هيجل هو مكسب الحرية و هو الأساس نفسه الذي الذي انبنت عليه فلسفة الأنوار... هذه الحرية تتجلى من خلال الأبعاد العملية التالية الفردانية ، حق النقد ، استقلالية الفرد ..." (مهيبل، 2007م) فكل بُعد عملي يُثبت نتائجه على مستوى العلاقات في فضاء التواصل و لغة الحوار مادام هابرماس يركز كثيرا على جدية المناقشة و قواعد الحوارالتي تقف عند مساءلة الواقع و الفكرة التي رسخت هذه الممارسة ، و عليه يدعو هابرماس إلى التحرر من كل تفكير يرى أن العلاقة بين اللغة والفعل كعلاقة الذات بالموضوع وفهم العالم بهذه الطريقة يجعلنا تحت رحمة العقل الأداتي ، فنحن بحاجة إلى نسق إجتماعي ديموقراطي يشمل الجميع في فضاء المناقشة لتحقيق الهدف الفعلي و هو التفاهم و ليس الهيمنة لذلك طرح هابر ماس اللغة كوسيط تواصل يصلح للتفاهم بين أناس يرغبون في التواصل ، فالفعل التواصـلي يحدد نوع التفاعلات التي تُنسق بواسطة أفعال اللغة لذلك نجده يربط اللغة بالتوقعات السلوكية المتبادلة بين الأفراد :" التتفاعل يتكون حسب معايير صالحة إلزاميا ، تحدد توقعا ت سلوكات متبادلة ، يجب أن تُفهم و يُعترف بها من قبل ذاتين فاعلتين على الأقل تقدير.و المعايير الإجتماعية تزداد قوة من خلال التوافقات . على أن معناها يتموضع في التواصل عبر اللغة المتداولة " (هابرماس و تر حسن صقر ، 2003م) وهو بذلك يضع منهجية محايثة لما أسسته مدرسة فرانكفورت و يحاول تتبع الأثر و بناء أثر جديد من داخل مشروع النظرية النقدية لذلك كان لهذا المشروع ديمومة و استمرارية بفعل الفكر المراجعاتي النقدي الذي يطبقه روادها على أنفسهم حتى تستقيم متابعاتهم النقدية ، لذلك نجد هابرماس يجعل من التواصلي بدل الأداتي انتصار على الانهزامية والضعف الذي عمّ بفعل الممارسة الليبرالية و التي تورطت في الدغمائية و جعلت العقل هشا أمام ضربات الواقع و المتغيرات السريعة ؛ فالعقل الذي يفتح المناقشة على مشكلات الواقع عقل تواصلي يحمل الكثير من القوة لتقريب كل الأبعاد و معايشة كل أنو اع الاختلاف و التنوع في فضاء

لا أحد يعيش فيه بمفرده بل عليه أن يحقق وجوده بانتصاره على الأداتية باللغة المتداولة و التوافقات الإجتماعية الممكنة .

تعقيب :

"المشروع الهابرماسي أثبت نجاحه في أفق النظرية النقدية ، و في نقده لليبرالية، لكن رغم هذا الحضور القوي وجه له النقد من " كارل أوتو آبل " حيث حكم عليه بالخائن للمقاصد الأنوارية ؛لأنه يزعم إعادة بناء عقلي لحدوسات أخلاقية تنطوي ضمنيا على أخلاق كونية أو لحس مشترك بكل العالم و الذي يجمع الإنسانية ، أضف إلى ذلك أنه لم يحدد في هذا الفضاء التواصلي الشروط التي تكون من خلالها المناقشة و النقد ، و هو موقف اعتبره بعض الدارسين عقلا يحتفظ باللحظة دون التحقق من الكوني فهذا العقل البديل مهدد بالوقوع في القمع و التعسف و الفردانية مالم يمتلك لغة التواصل و دلالاتها ، لذلك انتقدت الفيلسوفة الأمريكية" نانسي فريز Nancy fraser-" هذا العقل التوصلي : " الفيلسوفة اليسارية لم ترَ في أمر نظرية هابرماس في الفضاء العمومي إلاَّ أمرًا مستشكلاً ، إذ إنَّ الأنموذج البورجوازي الليبرالي والا شتراكي لم يعدا الخيار الأوحد في مدار السياسة والأخلاق والاقتصاد ، هذا اولاً، وثانيًا أن التحولات الاجتماعية والتاريخية الحاصلة اليوم قد أسهمتْ بقوةٍ في حدوث تحول في رؤيا للعالم، فانظر كيف تصاعدت الحركات الاجتماعية الجديدة، النسوية منها والعرقية والطائفية ، كل ذلك من شأنه أنْ يقوض رؤية هابرماس الفلسفية والنظرية والنقدية لمفهوم الفضا ء العمومي الذي بقي سجين الإطار الوطني والقومي للفعل السياسي." (العلوي، 2014م) ، في مقال لها عنونته بـ" إعادة التفكير في الفضاء العمومي حيث حاولت التأسيس لنظرية نقدية جديدة دعت من خلالها إلى استعمال مصطلح الفضاء العمومي بمفهوم الجماهير المتعددة ، لأن الاختلافات الإجتماعية لا تسمح بوجود فضاء عمومي في المجتمعات الرأسمالية لها وضع بنائي فهي تحوي تنافس إديولوجي حاد بين مجموعات مختلفة في علاقاتها الإجتماعية .

خاتمة :

نخلص إلى أن الليبرالية إديولوجيا واجهت الكثير من الهزات الفكرية و الواقعية والنقد الجذري لمنظومتها و أسسها الاستراتجية و الأداتية ، فكانت تغير من الخطاب لتجعل منه نسقا جديدا أو نيو ليبراليا بل جددت تبعية الإنسان للأديولوجيا فلم تخرج عن الأصل و البدا يات، و تعد مدرسة فرانكفورت أقوى تجمع للفلاسفة في القرن العشرين أسس لمنهجية نقدية معاصرة و تبنى مراجعة القول الفلسفي من داخل النسق الليبرالي بهدف تفعيل الفكر السالب " لا " مقابل هشاشة التفكير الإيجابي " نعم " للتصدي إلى التشيؤ و الاغتراب و القهر و القمع و التنميط ، والملاحظ أن مدرسة فرانكفورت قد حاولت أن تعيد الفلسفة الماركسية بعد إعادة النظر في نقاط لم تعد قادرة على إثبات فاعليتها والكشف عن زوايا غير مألوفة بعيدا عن القوالب الجاهزة، و هذا يحسب لفلاسفة مدرسة فرانكفورت في مرحلة تواجدهم بألمانيا أو في مرحل ة هجرتهم إلى

الولايات المتحدة الأمريكية و وجودهم بمجتمع رأسمالي صناعي شمولي ، حيث أثر على خطابهم فأصبح براكسيسيا بامتياز بالفكرة أو الأداء و ثورة حقيقية ضد كل نسق مغلق ، و قد طبقته على مشروعها بالفعل فكانت تنقد و تقبل النقد ، لتثبت بأنها نظرية حية بممارسته ا المتواصلة و المتجددة و المنفتحة على العالم الخارجي، و ليست نظاما نسقيا مغلقا يقف عند حدود بعينها ، لذلك كانت تخرج من كل نقد بمراجعة جديدة و تثبت بأنها تهتم بقضايا النقد الحقيقية للفكر الإنساني ، ليس مهما أن تخسر جولة بل أن تكتسب جولات اليومي ، فالتفاؤل الكامل اغتراب عن الحقيقة لأن بدايات النقد عند هوركهايمرإنما تبدأ بالتشاؤم ذاته و المساءلة لممارسة النقد الحي .

الإحالات والمراجع:

مراجع بالعربية

1-هوركهايمر ماكس، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، تر: مصطفى الناوي، عيون المقالات، ط01، بيروت، 1990، لبنان ، ص 13، 20.

2عبدالعزيز العيادي ، فلسفة الفعل ، ط1، دار نهى ، صفاقس ،2007، تونس ، ص 9.

3-ناصيف نصار ، الذات و الحضور ، دار الطليعة ، بيروت ، ط2 ، 2018 ، لبنان ، ص 6.

4-بول ريكور ، فلسفة الإرادة الإنسان الخطّاء ، تر عدنان نجيب الدين ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 2008 ، المغرب ، ص23.

5-عبدالعزيز مصطفى كامل ، الثوابت بين الإسلام و الليبرالية ، دار الكتب ، القاهرة1996، مصر ، ص 23.

6 الطيب بوعزة ، نقد الليبرالية ، تنوير للنشر و الإعلام ، ط1، 2013 ، مصر، ص104.

7-ستيفن إريك برونر ، النظرية النقدية ، تر سارة عادل، مؤسسة هنداوي ، ط1 ، 2016، مصر، ص 30.

8-ماكس هوركهايمر ، النظرية التقليدية و النظرية النقدية ، تر مصطفى الناوي ، عيون المقالات ، ط1 1989، المغرب ، ص20.

9-فؤاد زكريا ، هربرت ماركيوز ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، ط1، 2005، مصر ، ص 32 .

10-حسن محمد حسن، النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، دار التنوير، ط01، بيروت، 1993، لبنان ، ص 60.

11-قييس هادي أحمد، الإنسان المعاصر عند هربرت ماركيوز، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان ، ص25 .

12-عمر مهيبل ، من النسق إلى الذات ، منشورات الإختلاف ، ط1، الجزائر ، ص 111 .

13-يورغن هابرماس ، العلم و التقنية كأديولوجيا ، تر : حسن صقر ، منشورات الجمل ، ط1، كولونيا ، ألمانيا ،2003، ص 57.

معاجم

1 - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1 ، 1982 ، لبنان .

2- مجموعة من المؤلفين ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، مصر ، مادة الفعل .

3- أندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، نقلا عن محمود الصاوي ، الفكر الليبرالي تحت المجهر ، سلسلة تيارات فكرية معاصرة ، جامعة الأزهر ، القاهرة ،2011، مصر .

4 Dictionnaire exyclopédique pour la maitriseet la culture-clasique et contemporaine larouse,2001,paris

مراجع باللغة الإنجليزية :

1- charles, G. (2006). In The Cambridge Companion to HEIDEGGER (p. 98). United States : Cambridge University Press.

- 2Douglas, K. (2006, mars). Herbert Marcuse Art and Liberation (Collected papers of Herbert marcuse volume 4). London . New York: Routledge.

مواقع :

_ بقلم : رشيد لعليوي ، 2014، فئة أبحاث محكمة ، مؤمنون بلاحدود للدراسات و الأبحاث ، ملف الفضاء العمومي من هابرماس إلى فريزر .
https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%88%D9%85%D9%8A-%D9%85%D9%86-%D9%87%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D9%85%D8%A7%D8%B3-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D9%86%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%8A-%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%B2%D8%B1-851
الدخول للموقع يوم يوم 10جانفي 2022م

_ بقلم : قسم التحرير ،2013م ، فئة أعلام ، مؤمنون بلاحدود للدراسات و الأبحاث
https://www.mominoun.com/articles/%D9%8A%D9%88%D8%B1%D8%BA%D9%86-%D9%87%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D9%85%D8%A7%D8%B3-rgen-abermas-966 الدخول للموقع يوم 10 جانفي 2022م
_ بقلم : مارك مجدي ، 4 أفريل 2016، مقال بعنوان " هاربرت ماركيوز و تنميط الإنسان" موقع الحوار المتمدن ، موقع يبحث في نشر الفكر الحر .
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=512067

_ بقلم :عبدالغفار مكاوي ،3 ديسمبر 2019م ، ملف الأنطولوجيا ، موقع خاص بمقالات و فكرية و ثقافية .
/https://alantologia.com/blogs/23656

Bibliography

إبراهيم أنيس، - عبد الحليم منتصر ، و عطية الصوالحي . (2004م). تأليف *المعجم الوسيط* (صفحة مادة الفعل). مصر : دار الدعوة .

Charles, G. (2006). In *The Cambridge Companion to HEIDEGGER* (p. 98). United States : Cambridge University Press.

Douglas, K. (2006, mars). Herbert Marcuse Art and Liberation (Collected papers of Herbert marcuse volume 4). London . New York: Routledge .

larouse. (2001). Dans *Dictionnaire exyclopédique pour la maitriseet la culture-clasique et contemporaine.* paris.

الطيب بوعزة. (2013م). تأليف *نقد الليبرالية* (صفحة 104). مصر: تنوير للنشر و الإعلام.

أندريه لالاند. (2011). تأليف *موسوعة لالاند الفلسفية* (صفحة 22). القاهرة: سلسلة تيارات فكرية معاصرة جامعة الأزهر.

جميل صليبا. (1982). *المعجم الفلسفي*. بيروت : دار الكتاب اللبناني .

جورج أبو صالح . (1987م). العلاقة بالعالم و مظاهر عقلانية الفعل.*مجلة الفكر العربي المعاصر*، 31.

حسن محمد حسن. (1993م). تأليف *النظرية النقدية عند هاربرت ماركيوز* (صفحة 60). بيروت : دار التنوير .

رشيد العلوي. (8 نوفمبر , 2014م). *مؤمنون بلاحدود* . تم الاسترداد من
https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%88%D9%85%D9%8A-%D9%85%D9%86-%D9%87%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D9%85%D8%A7%D8%B3-

%D8%A5%D9%84%D9%89-%D9%86%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%8A-
%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%B2%D8%B1-851

.المغرب: المركز الثقافي العربي .(p. 23) *فلسفة الإرادة الإنسان الخطّاء* Dans .(2008) .ريكور, ب. ت

ستيفن إريك بروتر ، و سارة عادل . (2016م). النظرية النقدية. مصر: مؤسسة هنداوي.

عبدالعزيز العيادي. (2007م). تأليف *فلسفة الفعل* (صفحة 9). تونس: دار نهى .

عبدالعزيز مصطفى كامل. (1996). تأليف *الثوابت بين الإسلام و الليبرالية* (صفحة 23). القاهرة : دار الكتب .

عمر مهيبل. (2007م). تأليف *من النسق إلى الذات* (صفحة 111). الجزائر: منشورات الإختلاف.

فؤاد زكريا. (2005). تأليف *هاربرت ماركيوز* (صفحة 32). مصر : دار الوفاء لدنيا الطباعة .

قيس هادي أحمد. (1980م). تأليف *الإنسان المعاصر عند هاربرت ماركيوز* (صفحة 25). بيروت : المؤسسة العربية للنشر .

ماكس هوركهيمر. (1989م). تأليف *النظرية التقليدية و النظرية النقدية* (صفحة 13). المغرب: عيون المقالات.

: الحوار المتمدن Récupéré sur .(4م , أفريل 2016) .مجدي, م
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=512067

Récupéré sur https://alantologia.com/blogs/23656/ .*مختارات الأنطولوجيا* .(ديسمبر 3 ,2019) .مكاوي, ع

مؤمنةن بلاحدود. (12 ماي , 2013م). تم الاسترداد من فئة أعلام :
https://www.mominoun.com/articles/%D9%8A%D9%88%D8%B1%D8%BA%D9%86-
%D9%87%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D9%85%D8%A7%D8%B3-rgen-abermas-966

ناصيف نصار. (2018م). تأليف *الذات و الحضور* (صفحة 6). بيروت : دار الطليعة .

هابرماس ، و تر حسن صقر . (2003م). تأليف *العلم و التقنية كإيديولوجيا* (صفحة 57). ألمانيا : منشورات الجمل .

هوركهايمر ماكس، و تر ، مصطفى الناوي. (1990). تأليف *النظرية التقليدية و النظرية النقدية* (صفحة 20). بيروت: عيون المقالات.